والفقراء هم الأكثر تعرضاً لآثار الحوادث الصناعية. ويجري بناء المنشآت الصناعية بصورة مطردة على أطراف المدن، وينتقل الناس للسكنى هناك إما لتوافر فرص العمل أو لرخص المعيشة في هذه المناطق»[1].

وشهد العالم في الآونة الأخيرة زيادة مطردة في عدد الكوارث، لكن هناك تفاوتا شديدا في آثارها بين البلدان النامية والمتقدمة. وعلى الرغم من «أن عدد الحوادث التي حلت بالبلدان المتقدمة في العقود الثلاثة ١٩٦٠ ـ ١٩٩٠ بلغ ٦٣ كارثة، وهو عدد يتجاوز الكوارث التي أصابت البلدان النامية خلال الفترة نفسها (٥٠ كارثة)؛ فإن الوفيات التي حدثت من جرائها كانت أقل (توفي ٣٤٨٢٣ شخصاً من البلدان المتقدمة، يقابلهم ٧٩٣٦١٦ شخصا من البلدان النامية). إضافة إلى ذلك تسبب الجفاف الذي كان يدوم لفترات طويلة خلال الفترة ما بين أعوام ١٩٧٤ و١٩٨٤ في وفاة قرابة ٥٠٠،٠٠٠ شخص جميعهم تقريبا من البلدان النامية. ويبين هذا مدى تعرض البلدان النامية لآثار الأخطار الطبيعية التي كانت تجتاح أفقر المناطق بصفة عامة. وازدادت أيضا جملة الخسائر الاقتصادية الناتجة عن الأخطار الطبيعية على نطاق العالم كله. فقد قدرت جملة الخسائر في الستينيات بنحو ١٠ مليارات دولار، وفي السبعينيات بنحو ٣٠ مليار دولار، وفي الثمانينيات بنحو ٩٣ مليار دولار. وقد كان المتوسط السنوي للخسائر بعد تسوية التضخم المالي هو ٣. ٧ مليار دولار في الستينيات و١١. ٤ مليار دولار في الثمانينيات»[2]. وحديثا، في **عام ٢٠٠٥، الذي شهد عدداً قياسياً من الكوارث الطبيعية، وقعت ٣٦٠ كارثة تسببت في خسائر بقيمة ١٥٩ بليون دولار أمريكي، معظمها بسبب إعصار كاترينا في الولايات المتحدة**[3].

المبحث الأول: مفهوم الكوارث والأزمات:

المطلب الأول: تعريفات أساسية:

قبل الدخول في تفاصيل موضوع الكوارث والأزمات البيئية والمعالجة الإعلامية لها ينبغي تحديد عدد من المصطلحات التي ستمر في هذا الفصل وبيان التعريف الملائم والمختار لها.

---

(١) طلبة: إنقاذ كوكبنا، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٨.

(٣) البنك الدولي: تقرير عن الكوارث، ٢٠٠٧، ص ٣.

أولا: الكارثة:

ثمة تعريفات عدة للكارثة، من أهمها:

١ ـ الكارثة «تعطيل مهم لوظائف جماعة سكانية أو مجتمع، يسبب خسائر بشرية أو مادية أو اقتصادية أو بيئية واسعة النطاق، بما يتجاوز قدرة الجماعة أو المجتمع المصاب على التغلب عليها باستخدام موارده الذاتية. وتعتبر الكارثة دالة في عملية المخاطرة، فهي تنتج من مزيج من الأخطار وظروف القابلية للتأثر والقدرة غير الكافية أو الإجراءات غير الكافية لتقليل العواقب السالبة المحتملة للمخاطرة»[١].

٢ ـ الكارثة هي «تلك الأحداث الضارة أو المفجعة بالنسبة للإنسان وممتلكاته ومصالحه، فقد تحل عليه بشكل كبير في مناطق وجوده، أو قد تحل بمناطق خالية من السكان ولكن بها مصالح خاصة به ويهمه كثيراً وجودها، حيث يستفيد منها بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد تكون الإفادة منها مخططاً لها مستقبلياً»[٢].

٣ ـ الكارثة «حدث مفاجئ غالباً ما يكون بفعل الطبيعة، يهدد المصالح القومية للبلاد ويخل بالتوازن الطبيعي للأمور وتشارك في مواجهته كافة أجهزة الدولة المختلفة»[٣].

٤ ـ الكارثة «حدث يسبب تدميراً شاسعاً وأضراراً كبيرة وسوء حظ عظيماً، ويربك الحياة اليومية ويوقع خسائر مادية بشرية كبيرة»[٤].

---

(١) موقع الأمم المتحدة بشأن الاستراتيجية الدولية لتقليل الكوارث: www.unisdr.org

(٢) أرباب، محمد، ومحسوب، محمد صبري: الأخطار والكوارث الطبيعية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص ٣٦.

(٣) علي، ماهر جمال الدين: التخطيط لإدارة الكوارث، مجلة الفكر الشرطي، شرطة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، المجلد الثاني، العدد ٣، ديسمبر، ١٩٩٣، ص ٩٧، نقلا عن العتيبي، علي بن عطا الله: الدور الميداني للقائد الأمني في إدارة الكوارث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٧، ص ٢٤.

(٤) مكاوي، حسن: الإعلام ومعالجة الأزمات، الدار المصرية اللبنانية للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص ٥٤.

واستخدم أحد الباحثين مصطلح الأزمة بدلا من الكارثة، لكنه كان يقصد الكارثة حسب المعنى الذي أورده، وقد عرفها بأنها «حالة خارجة عن الطبيعة، وهي تتصف بصعوبة التعامل معها، إذا لم نكن قد استعددنا لها، في محاولة للتقليل من أضرارها وما يترتب عليها من خسائر بشرية وأضرار مادية للأماكن التي تقع فيها»[١].

أما الكارثة البيئية فيعرفها بأنها «حالة تؤدي إلى إحداث خلل كبير في التوازن البيئي، فيزيائياً أو كيميائياً أو بيولوجياً، في الهواء أو اليابسة أو البحر، وتؤدي إلى الإضرار بالحياة بصورة عامة والإنسان بصورة خاصة عن طريق تهديده في معيشته»[٢].

ثانيا: الأزمة:

يصعب وضع تعريف محدد لمفهوم الأزمات التي تواجهها البشرية، بسبب شمولية هذا المصطلح، وتعدد المجالات التي يدخل فيها، واختلاف المستويات التي يعالجها. واختار الباحث هذين التعريفين العامين للدلالة على مفهوم الأزمة، وهما:

١ ـ الأزمة هي «حالة توتر ونقطة تحول تتطلب قراراً ينتج عن مواقف جديدة، سلبية كانت أو إيجابية، تؤثر على مختلف الكيانات ذات العلاقة»[٣].

٢ ـ الأزمة هي «حدوث خلل خطير ومفاجئ يؤثر تأثيرا كبيرا على السلوك المعتاد لمنظومة العمل داخل المنظمة، وينطوي على خطر وتهديد مباشر وجسيم على استمرارها ومصالح أطرافها، ويحتاج إلى تدخل سريع وشديد من قيادة المؤسسة»[٤].

ثالثا: الخطر:

ـ حدث مادي قد يؤدي إلى أضرار، أو ظاهرة أو نشاط بشري قد يسبب الوفاة أو الإصابة أو ضررا بالممتلكات أو اضطرابات اجتماعية واقتصادية أو انحدار

---

(١) العوضي، عبد الرحمن، إدارة الأزمات البيئية، المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية، الكويت، لا. ط، ٢٠٠٧، ص ٣.

(٢) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) الشعلان، فهد أحمد: إدارة الأزمات: الأسس والمراحل والآليات، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط ٢، ٢٠٠٢، ص ٢٦.

(٤) آل سعود، يزيد بن محمد: دور الأجهزة الإعلامية في التعامل مع الأزمات الأمنية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٧، ص ١٣.

المستوى البيئي، وقد يتضمن ظروفاً كامنة ربما تمثل تهديدات مستقبلية، ويمكن أن تنشأ عن أصول مختلفة طبيعية أو بشرية[١].

رابعا: الحادث:

يُعرَّف بأنه «شيء مفاجئ غير متوقع تم بشكل سريع وانقضى أثره فور إتمامه، ولا يكون له صفة الامتداد بعد حدوثه الفجائي العنيف»[٢].

خامسا: الأخطار الطبيعية:

تعرف بأنها عمليات أو ظواهر طبيعية تحدث في المحيط الحيوي، وقد تمثل حدثا ضارا، ويمكن تصنيفها وفقاً لمنشئها سواء كان جيولوجيا أو مائيا ـ طقسيا أو بيولوجيا، وتختلف من حيث حجمها أو شدتها ومعدل تكرارها ومدتها ومداها أو مساحتها وسرعة الاستهلال والانتشار المكاني والفترات الزمنية البينية[٣].

سادسا: الطارىء:

هو موقف استثنائي يحتاج إلى تعبئة الجمهور وإنهائه في أقصر وقت ممكن، لكنه لا يرتقي إلى حد الكارثة[٤].

سابعا: المخاطرة:

احتمال حدوث عواقب ضارة أو خسائر متوقعة (وفيات، إصابات، ضرر بالممتلكات وبأسباب الرزق واضطراب النشاط الاقتصادي وإضرار بالبيئة) نتيجة تفاعلات بين الأخطار الطبيعية، أو التي يثيرها البشر والظروف القابلة للتأثر.

وتقليدياً يتم التعبير عن المخاطرة كالآتي: المخاطرة = الأخطار × القابلية للتأثر[٥].

---

(١) موقع الأمم المتحدة بشأن الاستراتيجية الدولية لتقليل الكوارث: www.unisdr.org

(٢) حواش، جمال، وعبدالله، عزة: التخطيط لإدارة الكوارث وأعمال الإغاثة، دار أيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦، ص ١.

(٣) موقع الأمم المتحدة بشأن الاستراتيجية الدولية لتقليل الكوارث: www.unisdr.org

(٤) العتيبي، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٥) موقع الأمم المتحدة بشأن الاستراتيجية الدولية لتقليل الكوارث: www.unisdr.org

ثامنا: القابلية للتأثر:

هي الظروف التي تحددها العوامل أو العمليات المادية الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، والتي تزيد من حساسية الجماعة السكانية لأثر الأخطار[1].

المطلب الثاني: السمات العامة للكوارث والأزمات:

ثمة سمات أساسية لكل من الأزمة والكارثة تتضح من خلال مفهوم كل منهما، ويمكن تبيان ذلك كالآتي:

الفرع الأول: السمات العامة للأزمة:

ثمة سمات رئيسية للأزمة التي تحدث في أي مجال من مجالات الحياة، أهمها:

١) عبارة عن حدث ضد طبيعة الأشياء.

٢) تفرض تحديات لاستخدام الموارد المتاحة.

٣) تتطلب الاهتمام والتصرف الفوري.

٤) يمكن أن تحدث أضراراً.

٥) سيطرة الإدارة تكون محدودة.

٦) يتعرف الأفراد إليها بناء على أحكامهم الشخصية، وليس من خلال تعليمات محددة سلفاً.

٧) لها تأثير محلي أو دولي.

٨) يصعب التنبؤ بتطوراتها.

٩) لها مسؤولية قانونية تستدعي اهتمام الناس ووسائل الإعلام.

١٠) تنطوي على رهان من نوع ما يمكن كسبه حسب مهارة التعامل مع الأزمة[2].

---

(١) المرجع نفسه: www.unisdr.org

(٢) مكاوي، مرجع سابق، ص ٥١.

الفرع الثاني: السمات العامة للكارثة:

ثمة سمات عامة للكارثة من أهمها:

١) الشدة والقساوة: يمكن قياس ذلك من خلال جمع الدمار والخسائر المادية والبشرية والاقتصادية.

٢) اتساع النطاق: حيث تمتد آثارها إلى مناطق جغرافية واسعة أو منظمات دولية متعددة الجنسيات.

٣) الشيوع والعلنية: حيث تكون الكارثة واضحة وعلنية وغير قابلة للتجاهل من جانب الحكومات والجماهير ووسائل الإعلام[١].

الفرع الثالث: الفوارق بين الكارثة والأزمة:

ما زال بعض الناس يخلطون بين مفهومي الأزمة والكارثة، ويعتبرون أن كلا منهما يعبر عن الآخر، أو يدل على معناه، وهذا الأمر شائع لدى الجمهور بصورة عامة، لكن الباحثين يفرقون بين هذين المفهومين على الرغم من وجود علاقة وثيقة بينهما أحيانا، مفادها أن كلا منهما قد يكون سببا أو نتيجة للآخر.

وتكمن أوجه الاختلاف بين الكارثة والأزمة في الأمور الآتية[٢]:

١) إن الأزمة تنتج عنها كارثة، فتأزم الصراع بين دولتين، واللامبالاة الشديدة التي تنتهجها جهة ما تجاه أزمة في منطقة أو بلد ما، قد ينتج عنها كارثة.

٢) إن الأزمة أعم وأشمل من الكارثة، فالأزمة تعني كل الأزمات الصغيرة والكبيرة المحلية والإقليمية أو الدولية أو حتى الأسرية، أما الكارثة فإن مدلولها ينحصر في الحوادث ذات الدمار الشامل والخسائر الكبيرة في الأرواح والممتلكات.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٥٥.

(٢) انظر: ـ

ـ علي، مرجع سابق، ص ٩٧، نقلا عن العتيبي مرجع سابق، ص ٢٧.

ـ مكاوي، مرجع سابق، ص٥٥.

ـ العتيبي، مرجع سابق، ص ص ٢٧ ـ ٢٨.

٣) الكارثة هي واقعة حدثت فعلاً، ينجم عنها أضرار مادية أو بشرية أو كلاهما، بعكس الأزمة فإنها وقائع يترتب على تفاقمها نتائج خطيرة تسبب كارثة، أي إن الكارثة تحدث عند حصولها أضرارا كبيرة، بعكس الأزمة فإنها في مراحلها الأولى لا تحدث أضراراً، لكن عند تفاقم أحداثها ونضجها وانفجارها وإحداث أضرار كبيرة، فإن الحادثة عندئذ تنتقل من أزمة إلى كارثة.

٤) إن الكارثة غالباً ما تكون بفعل الطبيعة في حين تكون الأزمة في الغالب بفعل الإنسان.

٥) إن الأزمة هي موقف الضغط الاجتماعي والاختلال التنظيمي الذي يقع على المنظمة لزيادة الطلب المفاجئ والحاد على مواردها بسبب حدوث كارثة، وفي الوقت نفسه إذا لم يتم التعامل مع تلك الأزمة بفعالية من قبل المنظمة فقد يتولد عن الأزمة سلسلة أخرى من الكوارث المتلاحقة.

٦) تستدعي الكارثة اهتمام الرأي العام والحكومة بما يثير التعاطف على الضحايا وتقديم المساعدات المادية والعينية للمنظمة، على خلاف الأزمة التي تجعل المنظمة المتعرضة لها مثار انتقادات شعبية ورسمية.

٧) اهتمام وسائل الإعلام بالكارثة يكون إيجابياً على عكس الأزمة، التي يكون اهتمام وسائل الإعلام بها سلبياً الأمر الذي يجعل المنظمة ـ المسؤولة عن الأزمة ـ في موضع المساءلة المستمرة والانتقادات الشديدة.

٨) تقع الكارثة بشكل مفاجئ ويستحيل التنبؤ بها لاتخاذ التدابير لتجنبها، في حين تأتي الأزمة نتيجة تراكمات من الأخطاء والمشكلات، حتى تصل إلى درجة الانفجار.

٩) الهدف الأساسي عند التخطيط للتعامل مع الكارثة هو تحقيق درجة استجابة سريعة وفعالة لظروف الكارثة للحد من أخطارها ومحاولة احتوائها، ويتطلب هذا الهدف تدخل وتعاون الهيئات والسلطات الحكومية والأهلية وأحياناً الاستعانة بهيئات وحكومات أجنبية، أما الهدف الأساسي عند التخطيط للتعامل مع الأزمة فهو حماية سمعة المنظمة من الانهيار والتشويه وفقدان المصداقية، ويتطلب تحقيق هذا الهدف حشد كل طاقات وموارد المنظمة وكسب تأييد جماهيرها المستهدفة.